

التحرير والتنوير

وعلى أن البسمة مختلف في كونها آية من أول كل سورة غير براءة أو آية من أول سورة الفاتحة فقط أو ليست بآية من أول شيء من السور ؛ فإن القراء اتفقوا على قراءة البسمة عند الشروع في قراءة سورة من أولها غير براءة . ورووا ذلك عن تلقوا فأما الذين منهم يروون اجتهادا أو تقليدا أن البسمة آية من أول كل سورة غير براءة فأمرهم ظاهر وقراءة البسمة في أوائل السور واجبة عندهم لا محالة في الصلاة وغيرها وأما الذين لا يروون البسمة آية من أوائل السور كلها أو ما عدا الفاتحة فإن قراءتهم البسمة في أول السورة عند الشروع في قراءة سورة غير مسبوقه بقراءة سورة قبلها تعلق بالتيمن باقتفاء أثر كتاب المصحف أي قصد التشبه في مجرد ابتداء فعل تشبيها لابتداء القراءة بابتداء الكتابة . فتكون قراءتهم البسمة أمرا مستحبا للتأسي في القراءة بما فعله الصحابة الكاتبون للمصحف فقراءة البسمة عند هؤلاء نظير النطق بالاستعاذة ونظير التهليل والتكبير بين بعض السور من آخر المفصل ولا يبسمون في قراءة الصلاة الفريضة وهؤلاء إذا قرأوا في صلاة الفريضة تجري قراءتهم على ما انتهى إليه فهمهم من أمر البسمة من اجتهاد أو تقليد . وبهذا تعلم أنه لا ينبغي أن يؤخذ من قراءتهم قول لهم بأن البسمة آية من أول كل سورة كما فعل صاحب الكشاف والبيضاوي .

واختلفوا في قراءة البسمة في غير الشروع في قراءة سورة من أولها أي في قراءة البسمة بين السورتين .

فورش عن نافع في أشهر الروايات عنه وابن عامر وأبو عمرو وحمزة ويعقوب وخلف لا يبسمون بين السورتين وذلك يعلل بأن التشبه بفعل كتاب المصحف خاص بالابتداء وبحملهم رسم البسمة في المصحف على أنه علامة على ابتداء السورة لا على الفصل إذ لو كانت البسمة علامة على الفصل بين السورة والتي تليها لما كتبت في أول سورة الفاتحة فكان صنيعهم وجيها لأنهم جمعوا بين ما رووه عن سلفهم وبين دليل قصد التيمن ودليل رأيهم أن البسمة ليست آية من أول كل سورة .

وقالون عن نافع وابن كثير وعاصم والكسائي وأبو جعفر يبسمون بين السورتين سوى ما بين الأنفال وبراءة وعدوه من سنة القراءة وليس حظهم في ذلك إلا اتباع سلفهم إذ ليس جميعهم من أهل الاجتهاد ولعلمهم طردوا قصد التيمن بمشابهة كتاب المصحف في الإشعار بابتداء السورة والإشعار بانتهاء التي قبلها .

واتفق المسلمون على ترك البسمة في أول سورة براءة وقد تبين وجه ذلك آنفا ووجه الأئمة

بوجه آخر تأتي في أول سورة براءة وذكر الجاحظ في البيان والتبيين أن مؤرجا السدوسي البصري سمع رجلا يقول " أمير المؤمنين يرد على المظلوم " فرجع مؤرج إلى مصحفه فرد على براءة بسم الله الرحمن الرحيم ويحمل هذا الذي صنعه مؤرج إن صح عنه إنما هو على التمليح والهزل وليس على الجد .